

خطاب صاحب الجلالة
بمناسبة الذكرى الحادية عشرة لجلوس جلالة الملك على العرش

الحمد لله والصلاة والسلام على مولانا رسول الله

شعبي العزيز

جرت عادة مشاعة بيننا وبينك منذ ذلك اليوم الذي ألقى لله إلينا فيه زمام أمرك أن نحتفل بذكرى اللقاء الميسر الميمون والموعد الموعود، الذي شاءت إرادة الله أن تجتمع فيه عزيمتنا وعزيمتك على تقوى من الله ورضوان، فكلما حل يوم الذكرى خالجنا الشعور على السواء بأن يومنا هذا يوم تكريم وتمهيد، لما يصل بيننا من أواصر وثيقة، ويجمع بيننا من وشائج المحبة الملكية، والوفاء المتبادل والاخلاص الثابت الأصيل، وكلما أشرقت طلعة هذا اليوم وتلاحقت أفراحه ومسراته أحسسنا إحساساً واحداً بأن هذا التكريم وهذا التمجيد يعبران من وراء ذلك تعبيراً صادقاً عن الاعتزاز والافتخار بالاسترسال المستمد عبر القرون، والاستمرار الثابت على الأزمان والعصور.

وها نحن نحتفل واياك مرة أخرى بالعيد المؤكد والعزم المؤبد، وقد مضى على الميثاق الذي أحكمنا عراه أحد عشر عاماً، عبرناها متآزرين متضافرين، ناهضين بعبء مشترك ثقيل، ساعين لما فيه مسرة النفس وارتياح الضمير، لأداء الواجب المفروض علينا كراع ورعية والقيام المعهود إلينا لضمان الحاضر السعيد والمستقبل الرافل في رغد أوسع وسعادة أشمل، فالحمد لله الذي هدانا إلى سواء السبيل، وأثاب مسعانا بتوفيقه الجميل، وثبت خطانا بتيسيره وتأييده، وتعزيزه وتسديده، ووهب لنا الحول والطول لتذليل العقبات وتبديد العوائق والعراقيل ومواصلة المسيرة المظفرة وموالاة البناء والتجديد وتثبيت دعائم الاستقلال وتحسين أركان السيادة وتمتين كيان الأمة، فلم تنصرم حقبة من حقب أيامنا ولم يمض عام من أعوام أعمارنا إلا كان اهتمامنا المتقاسم وحرصنا المشاع مقرونين بحظ وافر من السعي الهادف إلى تحقيق المصلحة ونصيب واف من إمعان النظر وإعمال الفكر فيما يعود بالعوائد المحمودة والعواقب المطلوبة المقصودة على مجتمعنا الذي أخذنا على نفسنا أن يمتاز بأحسن السمات ويتصف بخير النعوت والصفات.

ولئن لاحت ذات يوم في سماء السنة المنصرمة بارقة كأداء وكدر صفاء العيش في بلادنا الآمنة المطمئنة كدر جهالة جهلاء استطار شرها وعظمت بلواها فقد أخذنا عقب مصاب ذلك اليوم الأليم نواصل بعون لله ما كاد ينقطع بسبب تمرد المتمردين وغرور الأحلام الطائشة والنفوس المنحرفة، ولو كتب للفئة الضالة بلوغ ما كانت ترمي إليه من خسيس الغايات لتردت البلاد في هوة سحيقة ولضاعت المكتسبات وتقلصت الحريات ولرجعت الأمة القهقري درجات ودرجات، ولكن الله الذي يعلم السر والنجوى ويعلم ما تجنه القلوب وتكنه الصدور، الله سبحانه وتعالى أضفى نعماءه وآلاءه على أمتنا المؤمنة المتمسكة بحبله المتين وكتابه المبين، فعرفنا سبحانه صواب المقصد وهدانا إلى السبيل القويم والمحجة البيضاء، فرسمنا الخطط وحددنا الأهداف والغايات وعهدنا بتحقيق المطامح وبلوغ المقاصد إلى حكومة ألفناها من رجال ثبت لدينا إخلاصهم ووفاؤهم وصح عندنا توطيد عزمهم على ممارسة ما أسندنا إليهم من مهام ووكلنا إليهم من أعمال على الوجه الذي يكفل الرضا والارتياح.

أما المتآمرون على أقدس مقدسات الأمة الماكرون مكراً كباراً فقد باءوا بغضب من الله وذاقوا وبال أمرهم وأصابهم مكروه ما لم يعبأوا به من أحكام القانون المسنون.



العدالة تقول كلمتها

وهكذا شعبي العزيز سرنا على بركة الله نقوم بالتحقيق والانجاز ونضع المشاريع والبرامج وننظر في دواليب الدولة وأجهزتها نظر اكتناه وتمحيص لتقويم المعوج ورأب ماهو متصدع يوشك أن يستعصي علاجه أو اصلاحه.

وفي نطاق التنظيف ومقاومة داء الارتشاء تابعنا لدى محكمة العدل الخاصة طائفة من الوزراء والموظفين السابقين بعدما أجرينا بحثاً بشأن تصرفهم استغرق مدة مديدة وان أمر هؤلاء الوزراء والموظفين ومن لف لفهم من رجال الأعمال لموكول إلى محكمة العدل الخاصة التي نهيب بها أن تحدد المسؤوليات وتطبق العقوبات عند الاقتضاء بتجرد ونزاهة.

واننا لنرجو من وراء هذه الاحالة والمحاكمة أن يستخلص العبرة من هذا الاجراء جميع الأفراد الذين تأتمنهم الدولة على مصالحها أو تبرم معهم عقوداً وصفقات.

الاطار القانوني لوحدة الكلمة

وتحقيقاً للرغبة التي أعربنا عنها حيناً بعد حين في إسهام العناصر الحية بالبلاد وذوي الخبرة السياسية والكفاية الفكرية بالحظ الواسع والنصيب الموفور في العمل المرسوم لبلوغ المطامح الوطنية باشرنا عدة اتصالات مع الهيآت السياسية والمنظمات النقابية والممثلين للمؤسسات الدستورية والمهنية، ومع طائفة من الشخصيات البارزة في الدولة.

ولقد كنا نعلم أن مشاركة الشخصيات النابهة الشأن ومساهمة هذه الهيآت والمنظمات والمؤسسات في العمل الذي أبرزنا معالمه وأوضحنا مقاصده وأهدافه يتطلب تيسير وسائل هذه المشاركة وتمهيد سبل الاسهام وايجاد الاطار القانوني الكفيل بالتآم الشمل واجتماع الكلمة، فاتجه قصدنا بعد استقراء الآراء واستيعاب الميول والاتجاهات الى وضع مشروع دستور يراعي مختلف المطالب والرغبات ويأخذ بعين الاعتبار تخطيط منطلق جديد للملكية الدستورية.

ولم نتجه هذا الاتجاه إلا لاعتقادنا أن الدستور يشكل الأساس الذي ينبغي أن ينطلق منه كل توقيت ويوضع على دعائه كل برنامج.

ومادام الدستور هو أسمى القوانين وألزم مايلزم من المراجع فان وجوه الحياة الوطنية تنتظم كلها في نطاقه، ولايمكن بحال من الأحوال أن تند عن دائرته وتخرج عن نظامه، فإذا أصبح الدستور أمراً مسلماً وقاعدة متفقاً عليها أمكن أن تتسلسل الأحداث في إطاره، وترتبط الأعمال انطلاقاً من سلطانه.

وإن قبولك للدستور — شعبي العزيز — ورضاك الساحق عنه وابتهاجك الشديد بما ينطوي عليه من مقتضيات وأحكام، ويحققه من ديمقراطية لا نعلم لها مثيلا إلا في الامم التي تأصلت فيها النظم الثابتة المستقرة، كل هذا كان له أطيب الآثار في نفسنا، وكان سببا من أسباب المسرة وباعثا من بواعث التفاؤل والاستبشار.

وسنواصل ان شاء الله — شعبي العزيز — في اطار هذا الدستور الجديد وعلى ضوء أحكامه السعي لما فيه ضمان تقدمك وارتفائك والاضطلاع بما هو موكول إلينا من حماية مقدساتك ورعاية لشؤونك ومصالحك وصيانة لحقوقك وحرياتك وسهر على المشروع من رغائبك ومطالبك.

وإن ماعلينا جميعا أن نقوم به من أعمال ونحققه من آمال لخليق أن تتضافر له جهود ذوي النيات الحسنة وتتأزر من أجله العزائم والهمم التي تتعشق الصالح العام وتوثره على ماسواه بالاختبار والالتزام، ولنا الأمل الوطيد ان لا تتردد الارادات فيما نحن مدعوون للقيام به بين المصالح الخاصة والعامة، ولاتتراجع بين المطالب التي تمت بصلة ماسة الى المصالح العليا للبلاد.

مشاركة الشعب الواعية

شعبي العزيز

ها أنت كما قلت آنفا — قد صوتت على مشروع الدستور بأغلبية كادت تكون الاجماع ولم تصوت فقط، بل أردت بتصويتك هذا أن تشارك حتى تظهر للعادي والبادي وحتى تظهر لمن زعموا أنهم لا يعرفونك ولاتعرفهم، ولتثبت في الداخل والخارج أن الله وهبك خصالا منها :

أولا — محبتك في تحمل المسؤولية، وتحملت مسؤوليتك بقول لا أو بقول نعم.

ثانيا — إنك لست من الشعوب التي يقال فيها إنها طاعمة كاسية، وتترك قادتها وحدهم يخوضون المعركة، بل اعتقدت اعتقادا جازما أن معركة هذا الدستور والمعارك التي سبقته والمعارك التي ستليه هي معارك تخصك أنت قبل كل شيء ومستقبلك قبل كل شيءفأردت بهذا أن تشارك لا أن تكون متفرجا.

حقوق أكبر ومسؤوليات أكثر

— وأخيرا أثبتت بمشاركتك هاته التي فاقت مشاركتك في سنة 1962 وفي سنة 1970 أنك ناضج حيث ان هذا الدستور يضمن لك بكيفية مباشرة وغير مباشرة حقوقا أكبر، وبالتالي مسؤوليات أكثر، فمن تم تظهر للجميع أنك لاتقول نعم ولا امتثالا لأوامر أو ارضاء لرغبات، ولكن تقول لا أو نعم لأنك تريد أن تختار، وحينما تقول نعم وحينما تشارك مشاركتك هذه المرة التي فاقت المرات الاخرى تدل مشاركتك هذه على أنك تفحصت الدستور وأنك طالعته نقطة نقطة وأن مشاركتك هذه التي كانت من أجسم المكتسبات الديمقراطية في بلادنا دلت على أنك تفهم الفصول والابواب والبنود والمعاني، وأنك تعطي للديمقراطية معناها، وأنك تريد أن تمارسها، وأنك تريد أن تربي في أحضانها أبناءك وأبناء أبنائك الى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

حكومة جديدة للفترة الانتقالية

وماذا سنفعل بعد هذا شعبي العزيز ؟

من الطبيعي أن تقدم الحكومة التي تسهر على سيرك اليوم استقالتها ولانريد أن نترك هذه الفرصة تمر دون أن ننوه بهذه الحكومة بكيفية إجماعية ومنفردة وعلى رأسها وزيرنا الأول السيد كريم العمراني .

فقد قبلت أن تتحمل المسؤولية في أحرج الاوقات وأصعب الظروف في الوقت الذي علم فيه كل وزير أن المسؤولية سيف ذو حدين، وأن الشعب يقظ، وأننا لانريد أن نقع في مثل الزلات التي وقعنا فيها في الماضي، فباسمك شعبي العزيز وباسمي شخصيا أوجه لأفراد هذه الحكومة كهيأة وكأفراد شكرنا وتشجيعاتنا في أن يسيروا مسائل الدولة ريثما نكون حكومة اخرى بمثل النزاهة والاستقامة والاستماتة في سبيل الصالح العام .

وحينما سنُكَوِّنُ هذه الحكومة شعبي العزيز، على أي أساس سنُكَوِّنُها ؟ بالطبع من الناحية الديمقراطية ومن ناحية الكم ومن ناحية العدد ليس لدينا أي مقياس أو معيار لاعطاء مسؤوليات متعددة أو منفردة لهيأة من الهيآت أو لمنظمة من المنظمات وسوف يكون مقياسنا في هذه الفترة الانتقالية إما أننا نعلم أن الشخص الذي نعطيه وزارة من الوزارات هو متعلق بمؤسسات بلاده مؤمن بدستورها مؤمن باستمرارها واسترسالها، وإما أن نقلد وزيرا مسؤولية لأنه تقني ولأنه قبل كل شيء يعرف سلطاته.

ومع هذا وذاك يمكن التوفيق بين إيجاد حكومة يكون أساسها وزراء تقنيون لا شغل لهم إلا العمل التقني ولا هم لهم إلا إرضاء جميع الرغائب بدون تمييز ودون عنصرية وبجانبهم شخصيات سياسية معروفة بنزاهتها، معروفة بوطنيتها، معروفة بغيرتها على وطنها، معروفة بكفايتها من الناحية السياسية.

مهمة الحكومة الجديدة

وماذا ستكون مهمة هذه الحكومة ؟

إن مهمتها تنقسم الى قسمين :

ــ أولا : السير على نقط البرنامج الموضوع للحكومة السابقة أساسا والذي لايمكن أن يجادل فيه أي مغربي أو بشر كيفما كان.

ــ ثانيا : تنظيم المرحلة الأخرى وهي المرحلة النيابية، وذلك بالسهر على اجراء الانتخابات البلدية والقروية وانتخابات المجالس للغرف التجارية والفلاحية والصناعية والصناعة التقليدية والمأجورين، وتنفيذ الاقتراع فيما يخص المجالس الجهوية، وأخيرا السهر على الانتخابات العامة للنواب الذين سيسجلون في البرلمان.

وإن كل هذا يتطلب توقيتا معروفا مدروسا، ويتطلب كذلك معرفة بالقوانين حتى يمكننا أن نضع أحسن قانون انتخابي لكل مرحلة من المراحل.

حكومة تصالح ومسالمة

وأملي أخيرا أن تكون هذه الحكومة المقبلة، وسأسعى كل السعي في هذا السبيل ــ ولكن اليد وحدها لاتصفق، فأملي أن تجديدي من يصفق معها ــ أملي في هذه الحكومة أن تكون حكومة تصالح ومسالمة بين جميع أطراف الحياة السياسية بالمغرب.

فإذا نحن أردنا حقيقة أن نخلق جوا للتعامل والتعاون فلا يمكن أن نعمل هذا العمل ولانأتي بنتيجة في هذا الباب إلا إذا كنا حين نمارس السلطة لانفرق بين هذا وذاك لانوثر هذا على ذاك، لأنه ينتمي الينا، أو لانحارب هذا لأنه ليس في حزبنا ولامنظمتنا، أريد من كل قلبي وصميم فؤادي أن تكون هذه الحكومة الأولى من نوعها في بلادنا حكومة تسعى للخير، ولكن قبل كل شيء تعطى مثال المسالمة والمصالحة الوطنية.

وهذا شيء ليس بعزيز على كل وطني مؤمن، لأن كل وطني يمكنه أن يستمد قوة التصالح وقوة الاخاء من وطنيته إذا كانت وطنيته مخلصة خالصة وعميقة.

شعبي العزيز

إن علينا أن نطيل التفكير، ونوالي السعي والمسير، ونقيم القواعد ونشيد البنيان مستبصرين متبينين للغايات



والأغراض محددين للمراحل والأشواط عالمين بأن كل مسافة نعبرها تؤدى حتما إلى هدف محبوب ومطمح مخطوب، وأن على الله تعد سبيلا بعد جهودنا الجهيدة ومساعينا الحميدة ولن يتر الله عملا أريد به خير عاجل أو آجل وقصد من ورائه نفع وفير واصلاح كبير.

ولنلتفت مليا إلى الوراء، ولنمعن النظر فيما أقمناه من بنيان وقطعناه من مسافات وحققناه من تجديد في ميادين مختلفة، وأنشأناه من منشآت وأنبتناه من غرس ونبات، فإن هذا الالتفات وهذا النظر خليقان بشحذ الهمم وإلهاب الارادات الطماحة الى الابداع والابتكار كفيلان بنشر الاطمئنان في النفوس وبعث التفاؤل في القلوب.

ولنا اليقين بأن أولى الألباب من شعبنا وذوي النيات الحسنة والضمائر السليمة وهم والحمد لله الكثرة الكاثرة من سكان هذه المملكة، لاتنال من بصائرهم وعقولهم ولا تفت في إيمانهم بجميل مصير بلادهم ومستقبل وطنهم محاولات تثبيط العزائم وتعويق الأفكار عن التفكير السليم وايهام الأفئدة والمدارك بأن أوضاع البلاد الاقتصادية والاجتماعية متداعية سائرة من حالة سيئة الى حالة أسوأ منها وأوخم عاقبة.

الأمل والثقة والعزم الصادق

إنك ــ لتعلم شعبي العزيز ــ أسباب هذه المحاولات ودوافع هده المبادرات التي تتوخى صرف القرائح والملكات المتبصرة الواعية عما هي جادة فيه من إعلاء شأن البلاد وما عليك ــ شعبي العزيز ــ لتفنيد المزاعم وتكذيب الأباطيل إلا أن تجوب أقطار المعمور وتقابل وتقارن وتقايس وتوازن، فإن المقارنة والموازنة بين أحوال بلادك وأحوال غيرها من الأقطار جديرتان بحملك على المزيد من الاقتناء والاكتساب والافضاء بك إلى الحمد والاستبشار.

إننا ــ شعبي العزيز ــ أحرص ما نكون على الكمال، ولذلك فإننا لا نقنع بالخطى المتقاربة ولا بالسير البطيء والمكاسب النزرة، فهمنا مصروف باستمرار إلى إحلال مملكتنا المقام المرموق بين الدول البالغة من التمدن والحضارة الشأو البعيد في نطاق المحافظة على مقومات شخصية بلادنا وماتمتاز به من تقاليد صحيحة سليمة وخصائص وصفات، إن أهدافنا لجلية واضحة، وإن الطريق وإن كان ممتدا طويلا يستنير بنور الأمل الوهاج والثقة الراسخة والعزم الصادق، وعلى الله الاتكال بعد هذا أن يوفق جهودنا إلى مايتحقق به الانسجام الكامل بين مانحرص عليه من انطلاق متحرر واحتفاظ بأسمى ما تتصف به بلادنا من خصائص الشخصية المستقلة والكيان الممتاز.

شعبي العزيز

لايمر يوم مثل هذا اليوم الذي نحتفل فيه بذكرى جلوسنا على عرش أسلافنا الميامين إلا هيمنت علينا وعلى احتفالنا روح بطل الأمة وفقيد العروبة والاسلام جلالة والدنا محمد الخامس رضي الله عنه وأرضاه، فإلى الله نبتهل في هذا اليوم الذي تأتلف فيه القلوب وتتجمع فيه المشاعر لاحياء ذكرى ذلك اليوم الذي ائتلفت فيه العواطف شاكرة لله نعمة استخلافنا على عرشه، وإليه نتوجه ونضرع بأن يسكنه فسيح جناته ويغدق عليه شآبيب غفرانه ورضوانه، ويجزى صالح أعماله ويثيب خالد أقواله وأفعاله، وان من نعم الله علينا الموجبة لخالص حمده الداعية لوافر شكره أن جعل المبادىء والقيم التي كان رحمه الله مؤمنا بها أقوى مايكون الايمان مصباحا

يهدينا إلى السبيل السوي فيما يرجع للداخل أو يتعلق بالخارج، فلم نزغ عن تلك المبادىء والقيم ولاصرفنا عنها صارف جل شأنه أو قل، فقد بقينا متمسكين بحبل الله المتين، موفين بما عاهدنا الله عليه من واجب نحوك — شعبي العزيز — وما التزمنا به نحو الأسرة الدولية التي تربطنا بها أوكد الروابط وأوثق المواثيق.

وإن من فضل الله علينا أن حبانا بأرض مخصابة معطاء وهيأ لنا أسباب الاستفادة والانتفاع بما بث في أرضنا من ثراء وأغدق عليها من خير وأجزل لها من عطاء، وذلك بأن وهب لنا المدارك والعقول والعزائم التي لاتهن ولاتلين، والارادات المتطلعة إلى أجمل الأوطار والمكاسب التواقة إلى أسمى المنازل والمراتب.

إننا أمة ترعى الاخاء وتعتقد الوفاء، وتؤمن بالتعاون على البر والتقوى، وتهادن وتسالم ماوسعتها المسالمة القائمة على الحق والمهادنة التي تعتمد العدل والانصاف.

وسيظل دأبنا في الداخل العمل المثمر البناء لتحقيق أغلا المطالب التي يتعلق بها المطمح والرجاء، ووكدنا فيما لنا من علاقات دولية السلام الممدود الأركان إلى المواثيق المبرمة والعقود المحكمة والوئام الذي يستمد صحته من سلامة الطوية وصفاء الدخيلة.

شعبي العزيز

لقد كتب الله لنا اتصالا وارتباطا ويسر لنا اتفاقاً واتحاداً وفرض علينا تسخير ما وثق بيننا من وشيجة واشجة وأحكم بيننا من آصرة جامعة فيما يبتغيه ويرتضيه من صالح الأحوال ونافع الأعمال في الحال والمئال.

فاللهم أدم علينا نعمة التآلف والتعاطف، ومنة التآزر والتكاتف، واجعل اللهم التفاف شعبي من حولي ووفاءه لشخصي وولاءه لعرشي وإخلاصي لسؤدده وجاهه وحدبي غير المنقطع لاعلاء شأنه وماغرسته في قلبي من محبة موقوفة على اعزازه مقصورة على إسعاده عاملا من عوامل هدايتك وتوفيقك ورعايتك وتسديدك ونصرك وتأييدك.

اللهم احفظ بلادنا من كيد الكائدين ومكر الماكرين وزدها اللهم رفعة الى رفعة ونباهة الى نباهة وعلاء الى علاء.

اللهم إني أسألك فرجا للكرب النازل بفلسطين، ونصراً مبينا للعرب أجمعين، وتعزيزاً وتكريماً للمسلمين الأقربين منهم والأبعدين.

وأسألك اللهم أن تنشر ألوية الأمن والسلام على جميع الشعوب والامم والاقطار وتشيع الطمأنينة والسكينة في الأفئدة والأفكار.

اللهم إني قصدتك بالدعاء فاستجب دعائي، اللهم إني رجوت فضلك فلا تخيب رجائي، واعتصمت بكرمك فنعم الملاذ ونعم المستجار

ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار، صدق الله العظيم.

والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

ألقي بالرباط .

الجمعة 16 محرم 1392 — 3 مارس 1972